



□ "سأخبر الله بكل ما فعلوه بي" □

جملة قالها طفل سوري نازح، متوعداً جميع الشهود بعقاب سماوي، وهو يحتضر، نطقها بضم يابسٍ، بسبب الحمى، وأسنان ترتجف من البرد، والجوع

□ كما نقل تقرير تلفزيوني لفضائية أوروبية بثّ مشاهد مؤلمة لعوائل سوريّة تعاني الأمرين، هذه الجملة استوقفتني كثيراً، وجعلتني أشعر بالخزي، والعار، لأننا، كمتقنين، نقف عاجزين أمام ما يجري في عالمنا المضطرب، وهذا لن يعطينا من مسؤوليتنا الإنسانية، والأخلاقية تجاه هذه العوائل، التي أهدادها في تزايد، وقد □ ذرحوا عن ديارهم بسبب أعمال العنف، وحذرت منظمات إنسانية، من "تفاقم أوضاعهم مع بدء تساقط الثلوج في إقليم كردستان العراق الذي

□ يستضيف القسم الأكبر منهم ويواجهون صعوبة في تحمّل صقيع الشتاء"، □ مع انخفاض درجات الحرارة، ونزول أمطار في مناطق مختلفة من عالمنا العربي، وتساقط الثلوج في بعض المناطق منها في سوريا الجريحة، التي تئنّ منذ أكثر من ثلاثة أعوام، والعراق بعد هجمة "داعش" الموحشية، والمسؤال الذي يطرح نفسه: ماذا فعلنا لهم؟

فكلّ مساءً، ونحن ننعّم بدفء بيوتنا، نتابع ما تعرضه علينا نشرات الأخبار من صور، لعوائل نازحة عن ديارها تعيش في العراء، وإن وجدت سقفاً، فخيمة لا تصدّ برداً، ولما تمنع زخّة مطر من أن تتسرب عبر ثقوب الريح إلى الأجساد المبرّدة، وليس تحت أقدامها سوى تراب، ورمل بارد، وإن وجدت بساطاً، فيكون متخماً بالبرطوبة، مشردون: أطفال بلا مدارس، ولما طفولة، ونساء بلا أزواج، ولما مرايا سوى مرايا الأوجاع، وشيوخ بلا عكازات، ولما نظارات طبيّة، موتى بلا أكفان، حاضر بلا مستقبل، عوائل يأكملها □ تركت ممتلكاتها، وبيوتها، هرباً من الحرب الدائرة، ولكنّها □ وجدت نفسها كـ "المستجير من الرمضاء بالنار"، فكل يوم ترتفع نسبة الوفيات بسبب البرد، وسوء التغذية، وتفشي الأمراض، وقلّة العناية الصحيّة، فضلاً عن انقطاع الأطفال عن المدارس، وما لهذه المشاكل، من نتائج سلبية ستضع أصابعها على مستقبل منطقة عرفت بثرائها الثقافي، والحضاري.

واليوم نتابع تقارير المنظمات الإنسانية، وما تنقله وسائل الإعلام، من أخبار هؤلاء النازحين، نشعر بالألم لأن مشاكل النازحين تتفاقم، ولما نجد من يقف إلى جانبهم، يقول أمين عوض مدير قسم المشرق الأوسط وشمال أفريقيا بالمفوضية العليا لشؤون اللاجئين التابعة للأمم المتحدة "إن العالم لا يتحرك لتلبية حاجات اللاجئين بما يدفعنا إلى الشعور بالخجل من أنفسنا"

"وأنت تعدّ فطورك

فكّر بغيرك

لا تنس قوت الحمام"

قالها الشاعر محمود درويش، ليضعنا أمام مسؤوليتنا الإنسانية، ليس تجاه إخواننا من البشر الذين يفترسهم الفقر، والجوع، والفيضانات، والأوبئة، في كل أصقاع المعمورة، بل إلى ما هو أبعد من ذلك، إلى الكائنات الأخرى التي تشاركنا نعمة الحياة، من طيور، وفضائات، ونبات، وشجر، فنمد لها يد العون، لنؤكد إنسانيتنا، وانتمائنا إلى الوجود، وهذا واجب ديني، وأخلاقي، إذ أن كل المشرائع والأديان أكدت على ذلك، وفي الحديث الشريف "من ستر أخاه لم يستره الله يوم القيامة"، ومن فسد عن أخيه كربة من كرب الدنيا، ففسد الله عنه كربة من كرب يوم القيامة، وإن الله في عون العبد ما دام العبد في عون أخيه"

فهل نكتفي بالخجل؟ أم نسعى معا لنخفف من معاناة طفل جائع، لننقذه مما هو فيه، قبل أن يلحق رفيق تشرّده السوري الذي توعّد بأن يشكوا ضعفنا، وقلة حيلتنا إلى الله.